الجامعة الاسلامية والسياسة

(جمعية إسلامية . مدرسة جامعة بالمدينة المنورة . استقلال الحجرة النبوية)

تجدد الخوض في ذكر الجامعة الاسلامية بما ظهر أخيرا من عناية جمعية الاتحاد والترقي بالاستفادة من نفوذ الدولة الديني لما ظهر لها من تأثير الدين في السياسة ، وضرر ما كان من اعراضها عنه ، ومن اهتمام مسلمي الارض كافة بحرب طرابلس وحرب البلقان ، وبذلهم المال لاعانة الدولة على الحرب بقدر الامكان ، ومطالبة مسلمي الهند لدولتهم البريطانية بمساعدتها ، واستيائهم من ميلها للبلقانيين . ففي أثناء الحرب ألفوا في الآستانة جمعية اسلامية خيرية تحت رياسة أو رعاية ولي عهد السلطنة . وكان أول من بذل المال لتأسيسها بعض وجهاء المصريين ، ويرجون أن يجمعوا لها مالا جمًّا ، وان لم يعرف العالم الاسلامي اين يذهب هذا المال وكيف ينفق ؟

المدرسة الجامعة بالمدينة

واذاعوا في الاقطار خبر تأسيس مدرسة جامعة في المدينة المنورة ـ ويعبر عنها الترك باسم « دار فنون » ـ ثم أرسلوا وفدا اليها في أثناء زيارة الحجاج لها للاحتفال بالشروع في تأسيس هذه المدرسة المسوّغ لفتح باب الاعانات لها . ونحن ننتظر ان نرى نظام هذه المدرسة لنعلم هل موضوعها دار فنون جامعة لكل الفنون والعلوم العالية كما يفهم من هذه التسمية أم لا ، ولنعلم أي اللغات تكون لغة التعليم فيها ؟ هل هي العربية أم التركية ؟ ومن أين يأتون بالتلاميذ الذين تلقوا التعليم الابتدائي والثانوي ليدرسوا فيها الفنون والعلوم العالية ؟ وليس في المدينة ولا في الحجاز شيء من هذا التعليم ! ولا بحث عن المعلمين والكتب قبل أن نعرف لغة التعليم ، فان نظارة المعارف العثمانية تعتذر عما تطلبه من جعل التعليم في ولايات الدولة العربية بلغة اهلها ، وأظهر أعذارها عدم وجود الكتب والمعلمين . وقد أذاعت الجرائد من بضعة أشهر أن النظارة ألفت لجنة فيها لأجل اختيار الكتب العربية الصالحة . وعلمنا انها طلبت نموذجا من كتب التعليم التي تقرأ في المدارس المصرية الأميرية فأرسل اليها . والى الآن لم نر لعمل اللجنة أثرا يذكر . واذا كانوا يريدون التعليم في المدينة باللغة التركية فان لنا في ذلك كلاما آخر .

نقول هذا ونحن لا نقل فلا نصدق أن حكومتنا توجد في المدينة المنورة مدرسة جامعة . ونرى ذلك غير مستطاع ان كان مرادا ، ولا نظن أنه مراد . ولكنها قد

تبني بناء فخما تسميه مدرسة جامعة، ويجلب اليه بعض الطلاب من بلاد مختلفة، فيعلمون دروسا ابتدائية أو فوق الابتدائية، حسب استعداد من يحضر. ثم تستفتي أكفف أغنياء الحجاج وغيرهم لأجل ترقية المدرسة كما تستفتيها الآن لاجل تأسيسها باعانتهم

وأما كون المراد من هذه المدرسة بث فكرة الجامعة الاسلامية في قلوب المسلمين — كما قالت الجرائد في هذه الاقطار وفي غيرها — فالظاهر ان السياسة الاتحادية الاخيرة تود إذاعة هذا المعنى عنها، وبعض الذين يتولون إنشاء المدرسة الآن على اقناع زوّار المدينة المنورة وغيرهم بأن جمعية الاتحاد والترقي تخدم الدولة والاسلام، وانه يجب ان تساعد على ذلك بما يستطاع من النفوذ والمال، وقد علم هذا من حال من اختارهم الجمعية للشروع في العمل، ومن الاحتفال الذي كان في المدينة المنورة، ومن حال المندوب الذي بقي هنالك بعد الاحتفال (وهو الأمير شكيب أرسلان أحد أدباء طائفة الدروز في جبل لبنان) الذي كتب العشرات بل المئات من المقالات في إطراء الجمعية والطعن في طلاب الاصلاح من العرب للبلاد العربية. أما الشيخ عبد العزيز شاويش رئيس لجنة ذلك الاحتفال في المدينة المنورة ورفيقه عبد القادر أفندي المغربي فهما من غلاة أنصارها الذين ثبتوا على خدمتها في الاقبال والادبار، على اختلاف المظاهر والاطوار، ومن كان هذا شأنه معها فيما رجعت عنه من سياستها القديمة، فكيف لا يكون كذلك في سياستها الجديدة؟

أما أنا فأتمنى لو توجد مدرسة جامعة في المدينة المنورة، أو مدرسة ما مهما كانت درجتها، ومهما كان الغرض من انشائها، فانا لم نكن كما نحب اليوم، فاننا نرجو أن نكون كما نحب غدا. ولهذا لم أكتب كلمة تحذير منها في المقالات التي أتحبت بها على أعمال الجمعية، أيام كان الخلاف بينها وبين قومنا العرب على أشده، حتى انني عدت — كما كنت في عهد عبد الحميد — لا آمن على نفسي ان أحج بيت الله الحرام، أو أزور حرم رسوله عليه الصلاة والسلام، وكانت تخيل لي هذه المدرسة — عند سماع خبر العزم عليها — كمسجد الضرار. وقد دخل قومنا معها الآن في طور جديد نتمنى فيه بكل ما نطلب من الاصلاح، والله المسؤل ان تصدق الأماني وتحصل الآمال

وأما رأيي الذي أنصح به للدولة، فهو ان تصدي رجالها السياسيين لتحريك أوتار الجامعة الاسلامية يضر الدولة كثيرا ولا ينفعها إلا قليلا، ويوشك ان تكون هذه الاقوال التي قيلت في هذه المسألة — على قلة تأثيرها — من أسباب ما نراه من شدة

تعامل أوربة عليها ، وأكتفي في هذا المقام بالمثل الذي يكرره الامام الغزالي في الاحياء : « كن يهوديا صرفا والا فلا تلعب بالتوراة »

ومرادي من هذا انه يجب عليها أحد امرين : (الاول) ان تؤسس حكومة اسلامية ، خالية من التقاليد والقوانين الافرنجية ، الا ما كان من النظام ، الذي يتفق مع الشرع ولا يختلف باختلاف الاقوام ، وتعطي مقام الخلافة حقه من إحياء دعوة الاسلام ، وإقامة الحدود وحرية أهل الاديان ، ولا يعجزها حينئذ ان ترضي غير المسلمين من رعاياها الذين ليس لهم أهواء سياسية ، ولا ضلع مع الدول الاجنبية ، بل يكون ارضاؤهم أسهل عليها منه الآن ان شاءته . ولو كان لي رجاء في إصغائها الى هذا الرأي ، أو جعله محل النظر والبحث ، لبينت ذلك بالتفصيل ، ولأوردت ما أعلمه من المشكلات والعقبات التي تعترض في طريق تنفيذه من داخلية وخارجية مع بيان المخرج منها ، ثم ما يترتب عليه من تجديد حياة الدولة وكونه هو المنجي لها من الخطر ، وان تراءى لكثير من الناس انه هو المدرع بالخطر ، ظنا منهم أن أوربة تسجل بالاجهاز على الدولة اذا علمت بانها شرعت بنهضة إسلامية ، لعلمها بانها هذه هي حياتها الحقيقية ، وكون حياتها بهذا هو مايصرح به بعض أحرار الأوربيين (١) وان خوف منه بالتمويه والايهام اكثر السياسيين

(الثاني) ان تدع كل ما عدا الامور الرسمية المعهودة لديها من أمور الدين الى الجمعيات الدينية الحرة ، والافراد الذين يدفعهم استعدادهم الى هذه الخدمة ، ولها ان تساعد ما يستحق المساعدة من هذه الاعمال بالحماية ، وكذا بالاعانات المالية من أوقاف المسلمين الخيرية ، (اذا كانت تريد بقاء الاوقاف العامة في يدها ولم تجب طلاب الاصلاح الى جعل أوقاف كل ولاية في أيدي أهلها) مع ابقائهم بمعزل عن السياسة وأهلها . ولولا ان هذا هو رأيي لما اشترطت على رجال الدولة وجمعية الاتحاد ، إذ عرضت عليهم مشروع الدعوة والارشاد ، ان يكون في يد جماعة حرة لا علاقة لها بالسياسة ، وان لا تخصص لها اعانة من خزينة الدولة ، بل تكون نفقاتها مما تجمعه هي من الاعانات بأنواعها ، ومما تعطاه من أوقاف المسلمين الخيرية . (فستذكرون

(١) قال لورد كتشنر لبعض من لقيه من العثمانيين المشتغلين بالسياسة : ان الدولة العثمانية لا تصلح بالقوانين التي تقتبسها منا (أي الأوربيين) ونحن ما صلحت لنا هذه القوانين الا بعد تدريجية في عدة قرون كما نغير فيها ونبدل بحسب اختلاف الاحوال ، وان عندكم شريعة عادلة موافقة لعقائدكم ولاحوالكم الاجتماعية فالواجب على الدولة ان تعمل بها وتترك قوانين أوربة فتقيم العدل وتحفظ الأمن وتستقل بلادها الخصبة . وعندي انها لا تصلح بغير هذا

ما أقول لكم وأفوّض أمري الى الله ، إن الله بصير بالعباد)

استقلال الحجرة النبوية

بلغنا والعهدة على الرواة أن بعض المنافقين الذين ينقربون الى (جمعية الاتحاد والترقي) باسم الدين ، واستنباط الوسائل منه الى استخراج المال من جيوب المسلمين ، قد زينوا لها أن تتخذ دفترا تضعه في حجرة المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام . وتذيع في العالم الاسلامي كله أن من أراد أن يكتب اسمه في هذا الدفتر ، الذي وضع لدى قبر الرسول الاعظم ، صلى الله عليه وآله وسلم ، فليبذل قطعة من النقود الذهبية ، (كالجنيه الانكليزي أو الليرة العثمانية) ونحن ننصح للدولة أو الجمعية بأن ترد هذا الاقتراح ولا تنفذه ، مهما زينه المنافقون ووسعوا دائرة الاماني فيه ، وأوهموها ان السواد الاعظم من المسلمين يقبلونه ، ظانين أنه يجعلهم معروفين عند نبيهم (ص) محبوبين لديه ، مقبولين عنده ، وانه يمكن لمن يدعوهم الى البذل أن يقول لهم : انه (ص) ينظر في هذا الدفتر كل يوم ، ويقرأ هذه الاسماء ويدعو لأصحابها بخير

هذه بدعة قبيحة لا نظن ان رجال الاتحاد يقبلون فيها قول المنافقين ، أو يحتاجون الى نصح الناصحين ، وهي على كونها حدثا وبدعة في مسجد الرسول (ص) وعبثا بالدين ، تخل بتعظيمه وتكريم مقامه (ص) وقد لعن من أحدث حدثا في مسجده (وسيأتي الحديث فيه) وكذا في مدينته وما حولها : روى الشيخان في صحيحيهما وغيرهما عن علي كرم الله وجهه أنه قال : ما كتبنا عن رسول الله (ص) الا القرآن وما في هذه الصحيفة . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المدينة حرم ما بين عير الى ثور (١) فمن احدث فيها حدثاً او آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل » الحديث

لا يعجز اصحاب الجرأة من المنافقين ان يقولوا ان استقلال حجرة المصطفى وقبره (ص) بمثل هذا الدفتر لا يعد حدثاً ولا بدعة ، لانه وسيلة الى مساعدة الدولة على خدمة الدين (مثلا) ويمكن ان يتقى فيه الكذب في الدين وايهام الباطل والكذب على الرسول (ص) حتى لا يكون توسلا باسمه (ص) الى أكل أموال الناس بالباطل . ولكن أنصار السنة أنهض حجة وأقوم قيلا ، فلا يعجزهم أن يظهروا الدلائل

(١) عير وثور جبلان جعلهما «ص» حدين للمدينة . وثور جبل بمكة أيضا وقد اشتبه بعض شراح الحديث في هذا الذي في المدينة ، ورجح بعضهم رواية «ما بين عير وأحد» وان كانت الاولى أصح سندا . وقال بعضهم ثور الذي يحد المدينة وراء احد الى الشمال وهو مشهور ولونه الى الحمرة . فالظاهر انه جبل صغير خلفه بعض الناس جزءا من احد

وآثار السلف التي تدحض هذه الشبهات ، وأن يبينوا للناس ان كل بدعة حدثت في الاسلام قد موهت بمثل هذا التمويه ، وادعى محدثوها أنهم يخدمون بها الدين ، كما بينه الامام الشاطبي في كتاب الاعتصام

واني انقل هنا أثرا واحدا من آثار السلف الصالح في التوقي من احداث شيء في مسجد الرسول (ص) او مدبنته حذرا من لعنته . نقل الشاطبي في بيان كون المبتدع ملعونا ما يأتي :

« قال ابو مصعب صاحب مالك : قدم علينا ابن مهدي ـ يعني المدينة ـ فصلى ووضع رداءه بين يدي الصف ، فلما سلم الامام رمقه الناس بأبصارهم ورمقوا مالكا ـ وكان قد صلى خلف الامام ـ فلما سلم قال : من هاهنا من الحرس ؟ فجاءه نفسان ، فقال : خذا صاحب هذا الثوب فاحبساه . فحبس . فقيل له : انه ابن مهدي (١) فوجه اليه وقال له : أما خفت الله واتقيته أن وضعت ثوبك بين يديك في الصف وشغلت المصلين بالنظر اليه ، وأحدثت في مسجدنا شيئا ما كنا نعرفه ؟ وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « من أحدث في مسجدنا حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » فبكى ابن مهدي ، وآلى على نفسه أن لا يفعل ذلك أبدا في مسجد النبي (ص) ولا في غيره .

(قال الشاطبي) وهذا غاية في التوقي والتحفظ في ترك احداث ما لم يكن خوفا من تلك اللعنة ، فما ظنك بما سوى وضع الثوب؟ اه (ونقول) فما ظنك بدعة وحدث في حجرة الرسول (ص) يتبعها الكذب عليه ، وأكل أموال الناس باسمه ، والزيادة في الدين الذي جاء به ، ولو لم يكن في ذلك من الزيادة في الدين إلا إحداث قربة جديدة وعبادة مخترعة هي التقرب الى الله تعالى والى رسوله (ص) بكتابة اسماء الناس في دفتر هنالك لكفى ، فان قالوا انا لا نعده قربة ولا سببا للثواب . قلنا اذا هو غش واحتيال ، لأجل سلب الاموال ، فان من يعلم ان كتابة اسمه لا تقربه الى الله ورسوله ، لا يدفع المال لأجلها . . . هذا ولولا الاخلاص في النصيحة لله ولرسوله وللدولة لما كتبت هذا قبل إحداث هذا الحدث المقترح ، والله عليم خبير

---

(١) هو عبد الرحمن بن مهدي الشهير بالصلاح والعلم والعمل ، كان يختم القرآن كل ليلة ويتهجد بنصفه . لهذا كان قولهم للامام مالك « هذا ابن مهدي » سبباً لمبادرته الى اخراجه من الحبس لعلمه أن كلمة حق واحدة تؤثر في نفسه ، ما لا يؤثر الحبس الطويل في نفس غيره .

﴿ انتقاد أجوبة المنار لمن سأل عن حكم الحج ﴾

كتب الينا غير واحد من البحرين أن الذي سألنا عن حكم الحج واسرار المناسك لم يكن يريد الحج هو وأصحابه ، وما أسئلتهم تلك الا مظهر مافي نفوسهم من الاعتراض على الدين وعدم الاذعان لأحكامه ، وانه ما كان ينبغي ان يجابوا الا أن يقال لهم: هذا ديننا فان كنتم من أهله فأقيموا أركانه وأدوا فرائضه ، والا فالزموا شأنكم .

هذا معنى ما كتب الينا ، وصرحوا بأن سبب سوء اعتقادهم في السائل ومن على شاكلته أنهم قد تعلموا في مدرسة دعاة النصرانية (للبشرين) فأزاغوا عقائدهم

أما نحن فنقول ان الاسئلة التي أرسلت الينا تدل على أن السائل قد عرضت له شبهات في هذه العبادة (الحج) فهو إما حريص على دينه يسأل العلماء ليأخذ عنهم ما يدفعها بها ليكون على بصيرة من دينه ، وإما معجز أو شاك يختبر علماء المسلمين ليرى ماعندهم ، حتى اذا عجزوا عن بيان حكم هذه المناسك عذر نفسه ، واطمأن بما عنده . والواجب علينا ان نغلب حسن الظن ما وجدنا له منفذا ، وان نجيب طالب العلم مهما كان قصده ، فان كان مؤمنا ازداد ببيان حكمة الدين ايمانا ، وان كان شاكا أو زائغا يوشك ان يعود الى الرشد ، ويطمئن بما ظهر له من الحق . ولا ينبغي لنا ان نتهم أحدا في دينه بالشبهة ، ولا أن ندع من يشككهم دعاة النصرانية في الحق وشأنهم ، بل ينبغي لنا ان نجذبهم الينا ، اذا هم أعرضوا عنا وتركوا سؤالنا . فاذا ترك الحق الباطل يصول بشبهاته على أحداث المسلمين ، يمرقون كلهم من الدين .

واذا كان بعض أهل البحرين يعلمون مبلغ افساد دعاة النصرانية في بلدهم ، فلماذا لا يحذرون الغافلين من ارسال أولادهم الى مدارسهم ، ويغنونهم عنها بمدرسة اسلامية ينشئونها لهم ، يعلمونهم فيها من علوم المعاش ما يعلمهم هؤلاء المفسدون ، ويزيدون عليهم تعليم عقائد الاسلام وأحكامه وحكمه وآدابه وتاريخه بدلا من النصرانية وشؤون أهلها ؟ الا يعلمون انهم بترك معارضة هؤلاء المحاربين لدينهم آثمون كلهم ؟ وان هذا الاثم لا يزول الا بانشاء مدرسة ينقذون فيها أولادهم من مدرسة دعاة النصرانية التي ستلقي العداوة بينهم وبين أولادهم وتقطع صلتهم بهم في الدنيا والآخرة ؟؟

وعسى أن يعتبر بهذا من يدعون في حضرموت وغيرها من أطراف جزيرة العرب الى جعل بلادهم للانكليز أو تحت حمايتهم ، ويقطعوا النظر في ذلك من الخطر على دينهم